

الدرس (93) من تفسير ابن كثير سورة الفجر 5

خالد المصلح

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحابه والتابعين لهم باحسان الى يوم الدين اللهم اغفر لنا ولشيخنا وللمسلمين اما بعد فقد ذكر الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسيره الآية الخامسة والعشرين - [00:00:00](#)

من سورة الفجر قال الله تعالى فيومئذ لا يعذب عذابه احد اي ليس احد اشد عذابا من تعذيب الله من عصاه ولا يوثق وثاقه احد اي وليس احد اشد قبضا ووثقا من من الزبانة لمن كفر بربهم عز وجل. هذا في حق المجرمين من - [00:00:24](#) والظالمين الحمد لله رب العالمين واصلي واسلم على نبينا محمد وعلى اله واصحابه اجمعين اما بعد فاعوذ بالله من الشيطان الرجيم يقول الله تعالى فيومئذ لا يعذب عذابه احد يومئذ - [00:00:46](#)

هذه موصولة بما تقدم في قوله تعالى اذا دكت الارض دكا دكا جاء ربك والملك صفا صفا وجيء يومئذ بجهنم يومئذ يتذكر الانسان وان ناله الذكرى يقول يا ليتني قدمت لي حياتي - [00:01:05](#) فيومئذ اي يوم ذا تلك الاحوال وتلك الاحوال فصل القضاء بين الناس وتبيين المآل وانقسام الناس الى حالين ذكر الله تعالى تلك القسمة باحوال الناس في ذلك اليوم فقال فيومئذ لا يعذب عذابه احد - [00:01:29](#)

ولا يوثق وثاقه احد هذا القسم الاول وهم الذين ينالهم العذاب والعقاب وينزل بهم سوء الحال بشدة العقوبة يقول تعالى فيومئذ لا يعذب في ذلك اليوم لا يعذب عذابه اي عذاب الله عز وجل - [00:01:59](#) احد فالضمير في قوله لا يعذب عذابه هذا من باب اضافة المصدر الى فاعله اي العذاب الذي يكون من الله تعالى احد ولذلك قال ليس في قال المفسر رحمه الله ليس احد اشد - [00:02:28](#)

عذابا من تعذيب الله من عصاه فعذاب الله تعالى ليس له نظير كسائر افعاله جل في علاه وسائر ما اتصف به واخبر به عن نفسه ليس كمثل شئ وهو السميع البصير - [00:02:49](#) بذلك اليوم لا يعذب عذابه احد شدة والمأ و عقوبة فذاك شئ يجوز التصوير والخيال ولذلك قال لا يعذب عذاب احد لينفي كل ما يمكن ان يتصوره الانسان من حال العذاب وصورة العذاب الذي يكون في الآخرة - [00:03:08](#)

فهو شئ يفوق ذلك كله لا يتصور ولا يتخيل بعظمه وشدته وما ذكر من صور العذاب ذكر للسورة دون ادراك للحقيقة قوله تعالى على سبيل المثال فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسكم - [00:03:38](#) هذا التصوير للعذاب وهو كذلك لكن حقيقة ذلك الكي لهذه المواضع في البدن لا يدركها احد هي مندرجة في قوله تعالى لا يعذب عذاب احد كذلك كل عذاب ذكره الله في كتابه للكفار والمعاندين والمكذبين والعصاة - [00:04:04](#)

يدخل في قوله تعالى لا يعذب عذابه احد قوله تعالى ولا يوثقوا وثاقه احد دليل عظيم التمكن من ذلك المعذب فان المعذب قد يفر قد يتخلص بنوع من التخلص الذي يفكه من العذاب وشدته - [00:04:29](#) لكن حال هذا المعذب انه لا مناص له ولا مخرج ولا مهرب فهو موثق تمام الايثاق الذي لا يستطيع منه خلاصا ولعنهم فكاكا واذا قال ولا يوثق وثاقه اي وثاق الله تعالى - [00:04:57](#)

احد ويمكن ان يكون الضمير في قول عذابه اي عذاب المكذب الذي يقول يا ليتني قدمت لحياتي هذا وجه اخر فيومئذ لا يعذب عذابه اي عذاب هذا القائل احد يكون هذا من باب اضافة الشئ الى - [00:05:17](#)

مفعوله الى من وقع عليه وكذلك قوله ولا ينفق وثاقه احد اي وليس احد اشد قبضا ووثاقا من الزبانية لمن كفر بربه لمن كفر بربه عز وجل يقول وهذا في حق المجرمين من الخلائق والظالمين - [00:05:51](#)

ثم قال فاما النفس الزكية المطمئنة وهي الساكنة الثابتة الدائرة مع الحق فيقال لها يا ايتهنا النفس المطمئنة ارجعي الى ربك اي الى جواره وثوابه وما اعد وما اعد لعباده في جنته. راضية اي في نفسه - [00:06:16](#)

مرضية اي قد رضيت عن الله ورضى عنها وارضاهها فادخلي في عبادي اي في جملتهم وادخلي جنتي. وهذا يقال لها عند الاحتضار. وفي يوم القيامة ايضا كما ان الملائكة يبشرون المؤمن عند احتضاره وعند قيامه من قبره. وكذلك ها هنا - [00:06:41](#)

طيب هذا هذا هو القسم الثاني من احوال الناس في ذلك اليوم وبدأ الله تعالى ذكرى حالهم في هذه الدنيا قبل الآخرة ليبين انهم ما ينالونه من النعيم الآخروي قد ذاقوا بشائره وبوداره في الدنيا بالاطمئنان الذي من الله تعالى به عليهم يا ايها - [00:07:08](#)

يا ايتهنا النفس المطمئنة وهذا حالها في الدنيا ارجعي الى ربك راضية مرضية وهذا حالها في الآخرة انها راضية اما تشاهده من عطاء مرضية من المعطي جل في علاه ثم - [00:07:38](#)

بين وجهها من علامات الرضا الذي تناله تلك النفوس قال فادخلي في عبادي وادخلي جنتي قولي في عبادي سيأتي اه في كلام قوله ندخل في عبادة اي في جملتهم والمقصود بالعباد هنا - [00:08:04](#)

اهل الاصطفاء من اولياء الله وليست العبودية هنا العبودية العامة التي تنتظم كل خلق الله كما قال تعالى ان كل ما في السموات والارض الا اتي الرحمن عبدا بل هذه العبودية الخاصة - [00:08:26](#)

الاضافة خاصة تقتضي الاحتراف والاعتناء والولاية والحب والولاية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي وهذا هو مآلها ومنتهىها ودليل الرضا الذي فيه قاله ب الآية القاء السابقة مرضية فهي مرضية دخلت في عباد الله مرضية نالت جزاؤه وثوابه - [00:08:42](#)

وقوله جل وعلا ادخل الجنة المقصود بالجنة هنا هي دار السلام التي اعد الله تعالى فيها لعباده الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر - [00:09:14](#)

والجنة اسم لدار النعيم الكامل التي اعدّها الله تعالى لاوليائه وهي المقصودة بقوله وادخلي جنته هذا مما يبشر الله تعالى به اوليائه في الدنيا عند احتضارهم كما يكون ذلك في الآخرة فان الملائكة تتلقى - [00:09:27](#)

اولياء الله تعالى سلام عليكم طبتهم فادخلوها خالدين نعم يقول ثم اختلف المفسرون ثم اختلف المفسرون في من نزلت هذه الآية وروى الضحاك عن ابن عباس نزلت في عثمان ابن عفان وعن بريدة ابن - [00:09:51](#)

الحصيب نزلت في حمزة بن عبدالمطلب رضي الله عنه. وقال العوفي عن ابن عباس يقال يقال للارواح المطمئنة يوم يا ايتهنا النفس المطمئنة ارجعي الى ربك يعني صاحبك وهو بدنّها الذي كانت تعمّره في الدنيا راضية - [00:10:10](#)

مرضية وروي عنه انه كان يقرأه. هذا وجه آخر في تفسير ربك بانه البدن الذي كانت تسكنه يقال له يا ايتهنا النفس الخطاب للارواح تؤمر بالعودة الى النفوس الى الابدان التي كانت تسكنها للبعث والنشور - [00:10:30](#)

نعم وروي عنه انه كان يقرأها فادخلي في عبادي وادخلي جنتي. وكذا قال عكرمة يعني ايتهنا الروضة ادخلي في عبادي الذي كنت تسكنين جسده وادخل الجنة هذا ادخلي في عبادي للبعث والنشور وادخل الجنة للجزاء - [00:10:53](#)

والثواب نعم وكذا قال عكرمة والكلبي واختار ابن جرير وهو غريب. والظاهر الاول لقوله ثم ردوا الى الله مولاهم الحق وان مردنا الى الله اي الى حكمه والوقوف بين يديه - [00:11:16](#)

والايات في هذا كثيرة ايضا منها قوله تعالى وان الى ربك الرجعة الا الى الله تصير الامور واليه المصير كل هذا يدل على المعنى الاول الذي ذكره المفسر رحمه الله - [00:11:34](#)

وان قوله ارجعي الى ربك اي الى الله. يا ايتهنا يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه نعم وقال ابن ابي حاتم حدثنا علي ابن الحسين قال حدثنا احمد بن عبدالرحمن بن عبدالله الدش الدشتكي قال حدثني - [00:11:50](#)

ابي عن ابيه عن اشعث عن جعفر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله يا ايتهنا النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية

قال نزلت وابو بكر وابو بكر جالس فقال يا رسول الله ما احسن هذا؟ فقال اما - [00:12:12](#)

اما انه سيقال لك هذا ثم قال حدثنا ابو سعيد الاهد الاشد. قال حدثنا ابن ابي يمان عن اشعث عن سعيد بن جبير قال قرأت عند النبي صلى الله عليه وسلم يا ايها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك ارجعي الى ربك راضية - [00:12:32](#)

فقال ابو بكر رضي الله عنه ان هذا لحسن. فقال له النبي صلى الله عليه وسلم اما ان الملك سيقول لك هذا عند الموت وكذا رواه ابن جرير عن ابي عن ابي كريب عن ابن يمان به وهذا مرسل حسن - [00:12:57](#)

ثم قال ابن ابي حاتم وحدثنا الحسن بن عرفة ان هذا لا يدل على انها نزلت في ابي بكر انما هذا فيه البشارة انه ممن تشمله هذه الآية وليس انها نزلت فيه - [00:13:17](#)

لانهما نزلت دون ذكر سبب يتعلق به انما هو استحسان ذلك لما سمعه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم اما ان الملك سيقول لك هذا عند الموت ليس هذا مما يقال فيه انه سبب النزول. انما هذا - [00:13:30](#)

انه ممن يدخل في هذه الآية نعم ثم قال ابنه في حاتم وحدثنا الحسن وهذه طريقة للمتقدمين في انهم اذا نزلت الآية على شخص عدوا ذلك من اسباب نزوله فيتوسعون في سبب النزول - [00:13:49](#)

فيدخلون فيه من يندرج في الآية بالنص من يندرج في الآية بالنصف فاذا قال النبي صلى الله عليه وسلم لاحد ان الآية تشمله جعل ذلك من اسباب النزول نعم وحدثنا الحسن بن عرفة قال حدثنا مروان بن سجان الجزري عن سالم الافطس عن سعيد بن جبير قال مات ابن عباس - [00:14:08](#)

الطائف فجاء طير لم يرى على خلقه فدخل نعشه ثم لم ثم لم يرى خارجا منه فلما دفن تليت هذه الآية على سفير القبر ما يدرى ما يدرى من تلاها يا ايها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي - [00:14:34](#)

رواه الطبراني عن عبدالله بن احمد عن عن ابيه عن مروان ابن شجاع عن سالم ابن عجلان الافطس به فذكره وقد ذكر الحافظ محمد ابن ابن المنذر الهروي المعروف بشكر في كتاب العجائب بسنده عن قبات ابن - [00:14:59](#)

رزين ابي هاشم قال اسرت في بلاد الروم فجمعنا الملك وعرض علينا دينه على ان من امتنع ضربت عنقه فارتد ثلاثة وجاء الرابع فامتنع فضربت عنقه والقي رأسه في نهر هناك. فرسب في الماء ثم طفا على - [00:15:19](#)

وجه الماء ونظر الى اولئك الثلاثة فقال يا فلان ويا فلان ويا فلان يناديهم باسمائهم قال الله في قال الله تعالى في كتابه يا ايها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في - [00:15:39](#)

عبادي وادخلي جنتي ثم غاص في الماء فكادت النصارى ان يسلموا ووقع سرير الملك ورجع اولئك الثلاث دأب ورجع اولئك الثلاثة الى الاسلام قال وجاء الفداء من عند الخليفة ابي جعفر المنصور فخلصنا - [00:15:59](#)

وروى الحافظ بن عساكر في ترجمة راحة راحة بنت ابي عمرو الازاعي عن ابيها حدثني سليمان بن حبيب المحارب قال حدثني ابو امامة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لرجل قل - [00:16:19](#)

اني اسألك نفسا بك مطمئنة تؤمن بقلائك وترضى بقضائك وتقنع بعطائك. ثم روي عن ابي سليمان ابن ابي زبر انه قال حديث راحة هذا واحد امة اخر تفسير سورة الفجر ولله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة - [00:16:36](#)

وعلى كل حال هذه الآية عامة في كل من وصف الله تعالى في قوله يا ايها النفس ايتها النفس المطمئنة هي لكل نفس مطمئنة من اهل الايمان والاطمئنان غاية قرار السكون - [00:17:02](#)

فان الاطمئنان انما هو بمعرفة الله والعلم به ولذلك قال الله تعالى الا بذكر الله تطمئن القلوب فالمقصود بالاطمئنان هنا هو السكون والقرار تمام اليقين والايمان بما جاء به آآ بما جاءت به الرسول صلوات الله وسلامه عليه - [00:17:17](#)

لهذا يكون قد انتهى ما ذكر مصنف رحمه الله بتفسير هذه السورة والخبر الاخير هذا من العجائب الذي ذكر قد يكون هذا من اكرامات هو مما يثبت الله تعالى به اوليائه - [00:17:41](#)

هؤلاء رجعوا وظهر لهم آآ آآ ما يدفع عنهم الفتنة ويرد ويردهم الى الصواب ليس بغريب انما هذا عجيب لكنه ليس بممتنع. قد يكون

